الوقوف بعرفة

فإذا ما تجاوزنا ذلك وتعرضنا للركن الثاني من الحج، وهو الوقوف بعرفة، فنجد الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعرف الناس جميعاً أقدارهم مع بعض، كل فوج من الأفواج حتى من البلد الواحد، صحيح نحن مسافرين في فوج واحد، ولابسين إحراماً، وأقدارنا انتهت، وبزتنا انتهت، وهيئتنا انتهت، وكلنا على صورة واحدة، إنما بعد أن نؤدي ونطوف، نخلع ملابسنا، وكل واحد يعود إلى هيئته وإلى بزته.

إذن . . فبعد أن كنا متحدين ابتدأنا في الاختلاف، ثم إن هذا يسكن في فندق خمس نجوم، وهذا في فندق أربع نجوم، وهذا في فندق ثلاث نجوم، وهذا يلبس القميص الذي صفته كذا وكذا وهذا كذا وكذا. أيضاً ابتدأت أقدارنا مرة أخرى تظهر.

فكان لا بد من مشهد عام، هذا المشهد العام الكل يرى نفسه فيه، كل الناس، سواء من البلد الواحد أو من كل البلاد، فتأتي كل الأفواج لابسين لباساً واحداً، وعلى صورة واحدة، متجهين إلى عرفة.

وهذا اسمه: مشهدية الاستطراق العام. ولذلك قال رسول اللَّه ﷺ: «الحج عرفة» لماذا؟

لأن الاستطراق في البداية قد يكون جزئياً، إنما هنا استطراق كلي، استطراق عالمي، بحيث لما ترى الكل هكذا تجدهم بشكل واحد.

على صعيد «عرفة» يشعرون بأنهم سواء في العبودية وسواء في كذا وكذا، ولسان حالهم يقول: عرفنا أقدارنا، وجئنا إلى ساحة تركنا فيها كبرياء حياتنا وغرورنا بأسبابها ومسبباتها، ورفعنا جميعاً أمام بعضنا؛ لأنه قد يوجد واحد من الناس عظيم في بلد ويضرع إلى اللَّه بينه وبين ربه لا أحد يراه، وآخر يضرع إلى اللَّه أمام الناس كلها، هنا في الحج ترى العظيم بجوار الذي ليس بصاحب جاه، الاثنان يبكيان، والاثنان يرفعان أيديهما إلى اللَّه تعالى مثلهم مثل كل الحجيج طالبين المغفرة والرحمة والرضوان من اللَّه سبحانه تعالى.

يشهد الكل ذل الكل، وعلى هذا فلن يرفع أحد رأسه على أحد؛ لأنك أنت يا

من أكثر جاهاً رأيت الأقل ذليلاً خاشعاً خاضعاً للّه تعالى مثلك مثله، فلو أنك رئيس هنا عال ومتغطرس وكذا وكذا، ثم بعد ذلك ذهبت فحججت معه، ورأيته وهو يلبس إحرامه وهو يبكي إلى اللّه ويضرع وكذا وكذا فهذا يزيدك تواضعاً وتسامحاً، ونفس الموقف للأقل جاهاً حين يرى صاحب الجاه أو الرئيس له في عمله ذليلاً خاشعاً خاضعاً للّه تعالى مثله، فهذا يشفي نفسه بأنه رآه في موقف ذلة، في موقف خضوع، وهذا يشفي نفسه من تعاليه. فهو رآك أنك رأيته، فذلك يجعله يستحي فيما بعد؛ ولذلك يكون الحج المبرور للإنسان بعد الحج غيره قبل الحج؛ لأن الذي شهد لي خضوعاً وشهد لي ذلة وشهد لي انكساراً وشهد لي أدباً، ليس من السهل أن أتعالى عليه.

وعرفة كما نعلم في موقع المناسك ليست في داخل الحرم؛ وإنما هي من خارج الحرم لذلك فقد وقف العقل فيها وقفة طويلة، أوقفه اللّه تعالى عند سر ليظل التلقي من الغيب تلق غير خاضع لميكانيكية التشريع، ولكنه خاضع لطلاقة اختيار المشرع، فإذا كان الحج يمر بمراحل متعددة لأنه يبدأ أولاً من منطقة اختيار حر في بيئة الإنسان، اختيار حر يعيش فيه على منطق التكليف العام الذي يشمله ويشمل الناس المحيطين به جميعاً، ثم هو خرج بعد ذلك من منطقة الاختيار الحر الذي يشترك كل الناس معه فيه إيماناً باللّه ورسوله وإقامة للصلاة وإيتاء للزكاة وصوم رمضان، فيأتي الحج ليخرجه من منطقة الاختيار العامة إلى تقييد خاص له هو، فينقله إلى شيء يسميه التشريع: «الميقات».

ثم يمر من الميقات بعد ذلك إلى حدود الحرم ليضبط تصرفه، لا كحاج وحده، وإنما يضبط تصرفه مع تصرف الآخرين في الحرم، فإذا ما نظرنا إلى المواقع وجدنا أن الإنسان الذي وجد في منطقة الاختيار الأول ثم فكر في أن يحج أدخل نفسه في منطقة التكليف الخاص به، فلا يتجاوز مكاناً من الأمكنة حددها الشارع إلا وهو محرم، ومعنى محرم أنه نصب كل شيء: من غرور جاهه وغرور حياته وغرور اختياراته إلى شيء آخر، ولكنه شيء يلزمه هو كحاج، وإنما الذي يوجد بعد الميقات وإن كان غير حاج لا يتقيد بهذا القيد، فإذا ما مر من منطقة الميقات الذي يفصل بينه وبين المنطقة الحرة الاختيارية ليذهب إلى حدود الحرم وجد منطقة أخرى تحكمه وتحكم غيره حتى ممن لم يكن حاجاً؛ وتلك هي منطقة الحرم، فإذا ما تجاوز منطقة الحرم ذهب إلى المركز؛ وهو «البيت»، وهي «الكعبة»، ثم يؤدي النسك المطلوب منه طوافاً وسعياً، وبعد ذلك ينتقل إلى منطقة أخرى خارج نطاق التكليف العام للناس جميعاً، وهي منطقة الحل ثانية، فكأن رقعة الحاج تنحصر بين حلين:

الحل الأول: هو بيئة الإنسان قبل الميقات.

الحل الثاني: هو ما يخرج إليه الإنسان بعد أن يؤدي نسك الطواف والسعي ويخرج من مكة إلى عرفة.

الأمر العجيب أن منطقة الاختيار الأولى فيها تلقي التكليفات من اللّه تعالى له ومن معه جميعاً؛ فإذا أراد أن يحج أدخل نفسه في تكليف آخر خاص به، وإن كان لا يتعدى.

إذا رسمنا منطقة المناسك كلها وصنعنا دوائر، وجدنا الدائرة الأوسع هي منطقة الاختيار الحر للناس جميعاً، ثم حدد الشارع دائرة بعد الأوسع تسمى: دائرة واسعة، وهي منطقة الميقات.

ومن العجيب أن منطقة الميقات لم يحددها «بَرْجَل» هندسي، بمعنى أنه يعطي سن البرجل في الكعبة، ثم يمر بمحيط يجعله ميقاتاً، فتجد المواقيت أقطارها بالنسبة لمركز البيت أقطار مختلفة.

ومن العجيب أنك تجد قطر الميقات للحجاز الذي فيها البيت هي أطول أنصاف أقطار المواقيت؛ لأن الحرم لمن بداخل الحجاز في المدينة مثلاً من أول الحديبية؛ فإذا قست من أول الحديبية إلى الحرم وجدتها أربعمائة وخمسون كيلو متراً، نصف قطر الميقات من أبيار علي ومن ذي الحليفة أربعمائة وخمسون كيلو متراً، فإذا ما ذهبت فوجدت ميقاتاً آخر، ووجدت ميقات رابغ مثلاً: مائتي كيلو وأربعة وتسعين كيلو متراً، قرن المنازل للحج: أربعة وتسعون كيلو متراً، يلملم: أربعة وخمسون كيلو متراً.

إذن.. تحديد المواقيت ليس عملية هندسية مضبوطة بحيث نصف القطر من الشرق مثل نصف القطر من الغرب، أبداً بل مختلفة؛ ومن العجيب أن أطولها الميقات من المدينة أربعمائة وخمسون كيلومتراً.

مع أن الميقات لأهل اليمن أربعة وخمسين كيلو متر.

هذه وقفة يقف العقل فيها ليدلنا على أن المسائل ليست مسألة هندسية ميكانيكية، إنما هي طلاقة قدرة في أن تحدد الميقات هنا والميقات هنا، والميقات هنا، وحين تتأرجح المسائل في اختلاف أعداد أو اختلاف مقاييس نعلم أن للمقدار الأعلى طلاقة الاختيار في أن يجعل الميقات من هنا كذا ومن هنا كذا، حتى يقف العقل عند أسرار ذلك. فالقرآن مثلاً حين يعرض لنا خزنة جهنم يقول: عدتهم تسعة عشر، وينبهني يقول: إياك أن تقف عند تسعة عشر هذه، وتقول لماذا تسعة عشر،

ولماذا لا يكونون خمسة عشر، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

إذن.. فالمسألة الدائرة من مكلف إلى مكلف يجب أن تنظر فيه إلى مقاييس يحكمها برجل هندسي، إنما هي إرادة الله هنا وهنا.

ولذلك تجد في التكليفات انتقالات من العسير أن يقبلها العقل العادي بيسر.

فمثلاً نحن نتوضأ، فيأتي من يقول نحن نتوضأ حتى ننظف أنفسنا وكذا وكذا نقول له: نعم، وعندما نفقد الماء نأتي بتراب نعفر به وجهنا. فهي مسألة: لا تقول ننظف أو لا ننظف، هي مسألة إعداد نفسي؛ لأنك مقبل على الله، بالطريقة التي يؤهلك بها الله إليه؛ هنا ماء، هنا تراب، إياك أن تتكلم في هذه المسألة فليس لك بها شأن البتة.

إذن.. فأنا في هذه المسألة أنتقل من المنطقة الحرة إلى منطقة الاختيار المطلق، إلى منطقة الاختيار المقيد لي أنا، فيقول لي: لا تلبس المخيط، لا تتعطر، لا تحلق، لا تنكح، لا تقلع الشجر، لا تصطاد، لا تجادل، لا تفسق، إياك كذا، إياك كذا.

هل هذه الأوامر خاصة بمن دون الميقات؟ أم بمن دون الميقات لمن كان حاجاً، ولكن غير الحاج حر في هذه المسألة فواحد قيد نفسه يرى واحداً حر الاختيار، يصطاد كما يشاء، يقطع الشجر كما يحب، كذا كذا كل شيء يعمله وهو وحده.

إذن.. فالمسألة ليست إلا مسألة وضع مكلف لسلوك مكلَّف فمثلاً: أنا سائر بالراحلة، وراحلتي جوعانة، ويوجد حشيش، فيقول لك: إياك أن تتركها تأكل من هذا الحشيش، وهنا يثار سؤال: أفأترك الراحلة تموت؟ بعض العلماء قال: لا، ما دامت الراحلة هي وسيلة الانتقال ولا بد منها، فلا تأخذ أنت من الحشيش، لكن أطلق الراحلة هي التي تأكل من الحشيش.

انظر إلى هذا الأدب؟ أدب جوارح والتزام؛ لأنك دخلت في منطقة التقييد الثاني، بعد أن كنت مختاراً، لم يقل لك أحد: ادخل هنا، أنت الذي أدخلت نفسك هنا.

كما أنك في المنطقة الأولى، منطقة الاختيار الأول، الدائرة الواسعة، أنت الذي أدخلت نفسك في هذه المنطقة، أنت الذي أدخلت نفسك في منطقة أن تؤمن بإله واحد، أن تؤمن برسول مبلغ، أن تؤمن بمنهج، أنت حر أن تدخل أو لا تدخل في الإسلام. والكافر لم يدخل، ولكنك دخلت.

obeikandl.com

لكنك ما دمت قد دخلت في منطقة الاختيار الأول فقد قيدت نفسك بعض التقييد، ولكن كل الذين معك من المؤمنين مقيدون مثلك، لكن المنطقة الثانية أنت المقيد وحدك وغيرك حر.

فعندما ترى غيرك مطلقاً في عمل وأنت مقيد فيه، هذا هو الأدب. فالأول كنت مقيداً أنت وهو، أما الآن فأنت في منطقة ما بعد تجاوزك الميقات مقيد وحدك وهو حر.

وبعد ذلك تنتقل أنت وهو ـ حتى من لا يحج ـ إلى منطقة الحرم، أيضاً منطقة الحرم تحديدها على الخريطة، ليس خاضعاً لبرجل هندسي؛ لأنك مثلاً تجد من الشمال ستة كيلومترات من التنعيم إلى الحرم، ومقابلها من الجنوب اثنا عشر كيلو متراً، ومن الشرق تجد الجعرانة ستة كيلو مترات، ومن الغرب في الشميسي أو الحديبية تجد خمسة عشر كيلو متراً، وفي الشمال الشرقي من نخلة تجدها أربعة عشر كيلو متراً.

فالمسألة أيضاً ليست منضبطة: ستة، اثنا عشر، ستة عشر، خمسة عشر، أربعة عشر. أمر غير مضبوط هندسياً. لماذا؟

لطلاقة المختار، حتى لا تكون المسألة فيها رتابة؛ لأن الرتابة يلتزم بها الإنسان مرة واحدة، بمعنى أنه لو كانت حدود الحرم ـ وقد قلنا إن منطقة الميقات للحاج، ومنطقة الحرم للحاج وغيره ـ فلا يصطاد حتى من لا يحج ولا يقطع شجراً، ولا كذا وكذا، كلها حرم فيكون تقييداً له وتقييداً لغيره ممن لم يكن في نسك، فإذا كانت مسألة برجل كنا نقول: ستة كيلومِترٍ من هنا، وستة كيلومِترٍ من هنا، وتعمل أنت دائرة.

اللَّه تبارك وتعالى لم يطلق حريتك في أن تعمل أنت هذه الدائرة، بل هو سبحانه الذي حدد الشرق كم يبعد، وكذلك الجنوب والغرب والشمال الشرقي. هذه هي طلاقة القدرة في التزامك، كل مرة ملتزم.

فلا تكون من هذه الناحية ستة كيلومِترٍ، وإن جئت من هذه الناحية أيضاً ستة كيلومِتر، لا بل إذا أتيت من هنا ستة كيلومِتر، وإن جئت من هنا تكون ستة عشر، ومن هنا تكون أربعة عشر كيلو متراً وهكذا.

ومن العجيب أن الفوارق بسيطة: ما الفرق بين خمسة عشر وأربعة عشر، وستة عشر، نقول: المسألة ليست عادية؛ لأنها دربة على الالتزام، والتزامك يلزمه جزاء من المشرع الأعلى، فأنت تقيدت في منطقة الاختيار الأولى أنت وغيرك،

وتقيدت في منطقة الاختيار الثانية أنت دون غيرك، وتقيدتم جميعاً أنت وغيرك في منطقة حدود الحرم، وبعد ذلك انتقل إلى عرفة: الساحة الواسعة.

فكأن اللّه تبارك وتعالى يشير لنا بذلك، أو قد نفهم من هذا أن منطقة الاختيار الأول أسلمتنا أيضاً إلى منطقة الاختيار الثاني، ولكن الاختيار الأول كان به مطلوبات منك، والأخير الذي في عرفة الذي ليس في الحل منطقة اختيار ولكن باختيار المشرع، ولذا فهي منطقة العطاء لك، وهي منطقة حددت اختيارك في الحركة: بافعل كذا، ولا تفعل كذا.

عملنا لك هذه لماذا ودربناك على أنك تكلف نفسك وتتقيّد في المنطقة الأولى بعد الميقات، وتقييد نفسك في المنطقة الثانية في الحرم، وبعد ذلك اخرج إلى المنطقة الواسعة لتتلقى ماذا؟

أنت تلقيت هناك تقييد الاختيار، وهنا طلاقة اختيار المشرع في أن يهبك من المغفرة ومن الرضا حتى يقال في الأثر: إن الشيطان لم يوجد في وقت من الأوقات ولا في مكان الأمكنة أغيظ منه في هذا الموقف؛ لأن حظ الشيطان أن يكون ابن آدم عاصياً، لماذا هو فقط الذي عصى عندما أُمر بالسجود لآدم، ولأنه قد عصى، فيريد الناس كلها أن تعصي مثله.

فإذا ما كان الناس بغوايته لهم قد عصوا، ففرح بمعصيتهم للّه.

فاللّه تعالى بطلاقة اختياره ينثر رحمته ورضوانه على أهل الموقف جميعاً، جزاء بما قيدوا به أنفسهم من اختيارات في افعل ولا تفعل أولاً، ومن اختيارات خاصة بهم من الميقات، ومن اختيارات خاصة بهم وبغيرهم، ولذلك حين يقول رسول اللّه ﷺ لصحابته: إن اللّه تجلى على أهل الموقف ـ أي في عرفة ـ فغفر اللّه لأهل عرفة، وغفر اللّه لأهل المشعر الحرام، وتحمَّل اللّه عن الجميع تبعات ما عملوا نحو العباد.

لأنه لما قال: «الحج المبرور يجبُّ ما قبله» اختلف العلماء؛ هل هذا الحج يغفر كل الذنوب؟ فقال أحدهم: يغفر الذنوب المتعلقة باللّه، أي: التي بينك وبين ربك، ولكن الذنوب المتعلقة بينك وبين العباد لا بد فيها من أنك تخلص ذمتك، تجعلهم يبرئوك.

وقال بعض العلماء: ولكن اللّه إذا تجلى بواسع رحمته يجيب رسول اللّه «فما كان لك منها فاغفره لي، وما كان لغيرك فتحمله عني»، فخبر رسول اللّه في هذا الموقف أن اللّه غفر لأهل الموقف، أي: أهل عرفة، وغفر لأهل المشعر الحرام،

obeikandl.com

وبعد ذلك تحمل سبحانه التبعات التي لعبده الحاج عند غيره، فعند ذلك يقول عمر رضي اللَّه تعالى عنه: «كثر خيرك يا ربي».

هذه الساحة التي يتلقى الإنسان فيها غفران اللَّه ، وتتلقى فيها الجموع غفران اللَّه، إنما جاء في ملحظ السواسية في الموقف، والسواسية في الموقف معناها أن هذا الموقف كما قلنا إننا ندخل مكة على رحلات مختلفة، فوج يدخل هذا النهار، وفوج يدخل غداً، والكل محرم، وبعد ذلك يعودون إلى أحوالهم وإلى طبيعة قيمهم في الحياة، سكناً وإقامة وعيشاً وهنداماً ولباساً، ثم يخرجون ثانية باللباس العام، واللباس العام الجامع لكل الأجناس، وجامع كل الألسنة وجامع كل اللغات، وجامع كل المقامات، وجامع كل الأقدار، وهو لباس الإحرام وجميعهم شعثاً غبرا ـ وأشعث أغبر يعني: إنسان هندامه «ملخبط»، هيئته «ملخبطة»، متعب، مرهق، حاله ليس عادياً، ذاهل عما كان له من قدر ومقام ومكانة في المجتمع ـ كلهم مثل بعض، فهم لا يتعالون في هذا الموقف؛ بل كلهم متساوون في موقف الذلة والخضوع. والتعالي إنما يطلب من الناس على الناس، رجل يريد أن يتعالى على الناس، يعني: يكون أحسن منهم. وهنا في هذا الموقف لا يصحّ ذلك، فكأن الخير العام لا يعم الناس جميعاً إلا إذا استوى الناس في الخضوع، واستوى الناس في الذلة، ولا يتأبى واحد على واحد أقل منه في موقف الخشوع والذلة. وعندما ننفض هذا الغبار، غبار الاستعلاء وطغيانه عن أنفسنا في هذا الموقف يتجلى الحق سبحانه وتعالى بالمغفرة؛ لأن الذي يجعل المغفرة بيننا وبينها حجاب والرحمات بيننا وبينها حجاب اللَّدَدِ الذي يحدث بين الناس، فيكون مجتمعاً واحداً وتجد أن كل واحد يرى نفسه فيه، كل واحد واضع تميزاته أمام عينيه، هذا كذا وهذا كذا.

لا بد أن نلحظ أن كلنا عبيد لأنه ما دامت التميزات التي توجد فينا ليست من ذواتنا بل هي موهوبة من ربنا، فيجب أن لا ندخلها في حساب أقدارنا مع بعض، أنا وأنت مثل بعض، نحن كلنا عبيد له، فإذا حصل هذا الاستطراق العبودي، والنفوس كلها أصبح فيها هذا الاستطراق، ولا يوجد تعالٍ من أحد على أحد: يقول الحق سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «هم أهل جمع خليقون بمغفرتي وبرحمتي».

لكن إذا وجد لدد وجدال ومراء، فيترك الناس للددهم وخصومتهم. ألم يخرج رسول اللَّه ﷺ على صحابته يوماً من رمضان ليخبرهم بزمان ليلة القدر إلا أنه وجد جدالاً وخصومة بين رجلين، فقال ﷺ: «إني خرجت لأخبركم بليلة

القدر وإنه تلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيراً لكم، التمسوها في السبع والتسع والخمس»[١].

إذن.. فالتلاحي: الجدل والخصومة والمراء، كل هذا يمنع هبات الخير عن الجمع. الجمع الذي يريد أن يستقبل فيوضات اللَّه لا بد أن يكون جمعاً على منتهى الصفاء معاً، وتأمل مثلاً الأجهزة: أي جهاز يوضع، لا يؤدي مهمته إلا إذا كانت كل الأجهزة منسجمة مع بعضها، أما إذا كان جهاز مخالف لجهاز آخر فلا يؤدي المهمة.

كذلك النفوس الإنسانية، حين تلتقي ويكون فيها استطراق عبودي، وكلنا عبيد للَّه ولا أحد فينا أكبر من الثاني، وكل العطاءات الموجودة عطاءات تخدم بعضها، ليس لي أنا عطاء خاص حتى أتعالى به، بل إن كان لك ملكة أو موهبة من المواهب وغيرك ليس فيه هذه الموهبة، فيجب أن تقدر أن موهبتك متعدية له، وإن كان هو ليست له مواهب فأنت تحزن؛ لأنه لو كانت له مواهب في صناعته أو في عمله لتعدت إليك.

إذن.. فإذا كنت أنت صاحب مواهب فاعرف أنها في خدمة الغير، وغيرك إذا لم يكن له مواهب، فلن تأتي لك خدمته، فتكون أنت الخاسر.

إذن.. فمن خيرك ومصلحتك أن تكون كالناس جميعاً، وأن يكون الناس جميعاً مثلك، حينئذ يكونون أهلاً لتلقي فيوضات الخير. ففي يوم عرفة الكل يكون واقفاً، ضاحياً؛ الشمس دانية من الرؤوس، الجو حار، أو السماء تمطر، والناس كلها واقفة، كلهم خاضعون أذلاء، لا يوجد تعالٍ، فيكون هذا الموقف أهلاً لتنزل الرحمة.

فمثلاً وللَّه المثل الأعلى: هب أنك رب أسرة، وهذه الأسرة كلما دخلت عليها وجدتهم ضاحكين لاعبين متكلمين بكلام الخير، فإن كنت قد أحضرت معك شيئاً في جيبك تعطيها لهم وتبسطهم بها.

وإن دخلت فوجدتهم في حزن وهم وغم، هذا يشتم هذا، وهذا كذا، فإن نفسك تنقبض ولا تعطيهم شيئاً ممّا معك.

إذن.. فتجلي اللَّه بالمغفرة على أهل الموقف في عرفة إنما نشأ من وجود هذا الاستطراق، وعدم وجود طغيان، وعدم وجود استعلاء.

---

(١) رواه البخاري [٤٩] والنسائي في الكبرى [٣٣٦٤] عن أنس بن مالك رضي اللَّه تعالى عنه.

فإن أردنا أن يدوم لنا هذا العطاء من السماء، فلنكن خارج عرفة مثلما كنا في عرفة.

وإذا كان الحج يجبُّ ما قبله، بمعنى أنك قد أخذت مغفرة عن الماضي، فاحذر جيداً أن تستقبل زمنك الآتي بالرضا؛ لأنك لست ضامناً في حياتك أن تعود لتحج لنفسك مرة ثانية، فاغتنم هذه الفرصة، ودع الحج يمسحك هذه المسحة.

ولذلك يكون الشيطان مغتاظاً، وحتى تغيظه: أكثر من الطاعة والمعروف والصدقة، واجتهد في العبادات والذكر والدعاء، وكأن لسان حالك يقول: إنني انتصرت عليك وإن كنت قد تسللت إلي في فترة ضعف وأثرت علي في شيء فإن ربي قد غفر لي ذلك، فله الحمد وله الشكر.

obeikandl.com

دعاء يوم عرفة

لبيك اللَّهُم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك

شعار هذا اليوم.. ونشيد هذه الساحة وترداد هذا الركن.. لبيك اللَّهُم لبيك.

ومن أولى بالتلبية منك يا رب العالمين وقد خلقت الخلق بقدرتك.. وأمددتهم بعبوديتك وأنعمت عليهم بربوبيتك فلا يقال لبيك إلا لك، تناجي الأوطان وأنت تدعو، فأنت أولى بلبيك، وتفني الأهل وأنت تدعو، فلا يكون لبيك إلا لك، ويدعو المال والولد إلى أن يظل الإنسان حبيسهم.. ولكن لا يقال لبيك إلا لك.

سبحانك ولا تقال إلا لك

سبحانك يا رب وما أصدق لهجة عبادك جميعاً حين يقولون لك لبيك اللَّهُم لبيك.

ولماذا لا نقول: لبيك لك يا رب، وأنت لا شريك لك؟ ولماذا لا نقول: لبيك لك يا رب والحمد كله لك؟ الحمد بكل صوره.. الحمد بكل ألوانه حتى الثناء على الأسباب.. حتى الشكر للوسائط والوسائل مرد الحمد فيها جميعاً إليك يا رب.

يا رب.. فالوسائط.. والوسائل.. والأسباب من خلقك فإن أجريت عليها ما يأت بالخير فأنت المجري يا رب، فلك الحمد أولاً ولك الحمد آخراً.

سبحانك يا رب.. من لم يحمدك لأنك الذي خلقت، ورزقت، وأمددت بالنعم من لم يحمدك لكل ذلك، فليحمدك لأن لك الملك لا إله إلا أنت.

سبحانك ولا تقال إلا لك..
لبيك اللَّهُم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك..
إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.

يا رب.. نسألك كل شيء.. بقدرتك على كل شيء.. اغفر لنا ولهؤلاء جميعاً كل شيء.. ولا تسألنا عن شيء.

إنك يا رب ما دعوت عبيدك لزيارة بيتك والوقوف بساحة رحمتك عرفات إلا

وأنت تريد بهم الخير وتريد لهم الرحمة، وكل داع نعرفه حين يدعو مدعويه يعد لهم من الحفاوة ومن التكريم ومن التحف ما يليق بسماحته وما يناسب كرمه وما تتسع له إمكاناته. وأنت يا رب لو سألك كل هؤلاء في ساحة رحمتك.. لو سألك كل المؤمنين بك في أرضك كلها.. لو سألوك حوائجهم فأعطيتها لهم ما نقص ذلك مما عندك يا رب إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر، وذلك لأنك يا رب الجواد. وأنك الواجد وأنك الماجد، عطاؤك كلام.. وعذابك كلام، إنما أمرك للشيء إذا أردته أن تقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

تجلياتك يا رب على خلقك لتنظر هذه الضراعة الجميلة والعبودية الخاشعة ونعمة الذلة لك، ونعمة العبودية لك لأنها عبودية تعز العبد.

فالعبودية من الخلق إلى الخلق عبودية تأخذ خير العبد للسيد وعبوديتنا لك يا رب تعطينا خيرك يا عظيم يا كريم.

يا رب.. يا رب.. يا رب.. نسألك لأنك الملك، وأنك على كل شيء قدير، وما تشاء من أمر يكون.

يا رحمة اللَّه.. يا رضوان اللَّه.. يا تجليات اللَّه.. هؤلاء خلق اللَّه فاهبطي عليهم بالإشراق وتنزلي عليهم بالصفاء، وأرجعيهم مأجورين مغفوراً لهم، مجبورين مجابُ دعاؤهم لهم ولأهلهم ولأزواجهم ولذريتهم ولأحبابهم ولجميع المؤمنين والمؤمنات.

لبيك اللَّهُم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.

إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.

إلٰهي لست إلٰها استحدثناه.. ولا رباً ابتدعناه.. ولا كان لنا قبلك من إلٰه فنلجأ إليه ونذرك، ولا أعانك أحد على خلقنا فنشركه معك.

سبحانك.. سبحانك.. سبحانك..

لا إلٰه إلا أنت، لا إلٰه إلا أنت.. لا إلٰه إلا أنت..

حظ التلبية من التوحيد أن نشهد بك واحداً لا شريك له. وحظ جميع أركان الإسلام من الحج أن الصلاة لها منه ذلك الحظ نتوجه إلى بيتك في كل صلاة فهذا هو البيت.. رأيناه.. رؤيا العين وطفنا جميع جهاته واستلمنا حجره الأسود ليشهد لنا يوم لقائك. وأما حظ الزكاة فإن فيها البذل وفيها السخاء وفيها الأريحية وفيها الثج ليطعم الناس ويطعم الفقراء والمساكين. أما حظ الصوم من الحج، فإنك يا رب جعلت على المحرم محظورات مباحة مع غير المحرم، ولكنه ساعة يحرم تحرم

عليه، وهذا لون من الإمساك عمّا أحلّ اللّه، فكأن ركن الحج يا رب ركن جمعت فيه الأركان مرموزاً إليها وممثلة فيه. لهذا يا رب كان جزاؤك عليه أن يخرج الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

لبيك اللّهُم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.
إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.

اللّهُم فإنك قد أمرتنا أن نحج بيتك فامتثلنا وقلنا لبيك.. وأمرتنا أن نقف في ساحة رحمتك فقلنا لبيك.. فكما لبينا دعوتك يا رب اقبل ضراعتنا، واغفر زلاتنا، وارحمنا وارض اللّهُم عنا، وما مضى من ذنوبنا فاغفره.. وما نستقبل من حياة فاستر عنا ذنوبها.

اللّهُم إنا نسألك الخير من حيث تعلم أنه الخير يا رب.. يا رب.. يا رب.. بقدرتك على كل شيء اغفر لنا كل شيء ولا تسألنا عن شيء.

لبيك اللّهُم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك
إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.
سبحانك يا رب ولا تقال إلا لك..

حشد واجتماع كل قلب فيه واجد، وكل قلب فيه مؤمل، جاءوك وهم واثقون بكرمك، جاءوك وهم واثقون بعفوك، جاءوك ويحبون أن يرجعوا إلى أهلهم على خير ما يرجع مسافر للّه بتحية من اللّه في نزل من اللّه.

يا رب.. يا رب.. يا رب.. نسألك بأنك الملك وأنك على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون.

اللّهُم، إنا نسألك أن تعطينا الخير مما تعلم أنه الخير لنا في ديننا وفي دنيانا وفي أهلنا.

اللّهُم إنا نسألك أن ترزقنا جميعاً حبك وحب من ينفعنا حبه عندك.

اللّهُم ما أعطيتنا مما نحب فاجعله قوة لنا فيما تحب.. وما زويت عنا مما نحب فاجعله ثواباً لنا فيما تحب.

يا رب.. يا رب.. يا رب.. نسألك بأنك الملك وأنك على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون.

لبيك اللّهُم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.
إن الحمد والنعمة لك والملك.. لا شريك لك.

يا رب.. يا رب.. يا رب.. نحن عبادك وأنت ربنا ومن الجحف في أعراف

obeikandl.com

الناس أن يكون الإنسان مذنباً أمام أحدهم يأتيه بعد ذلك في ساحته ليسأله بره ويسأله رضوانه، ولكنها من عبيدك يا رب محبوبة فأنت تحب التوابين، وأنت تحب الأوابين، وأنت تحب المستغفرين.

سبحانك يا رب . . سبحانك يا رب . .

يا رب إنها ضراعة تجلت فيها رحمتك ويوشك يوم الرحمة أن تأفل شمسه وأن يرجع عبيدك بالمغفرة والرحمة.

ونحن في هذه الساعة الطيبة المباركة ندعوك يا رب كما أمرتنا.

فلندعوك يا رب بما دعاك به آدم عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به إدريس عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به نوح عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به هود عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به صالح عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به إبراهيم عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به لوط عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به إسماعيل عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به إسحاق عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به يعقوب عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به يوسف عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به موسى عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به هارون عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به داود عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به سليمان عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به أيوب عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به يونس عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به إلياس عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به زكريا عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به يحيى عليه السلام، ولندعوك يا رب بما دعاك به عيسى عليه السلام.

ولنختتم دعاءنا لك يا رب بدعاء خير خلقك وسيد أنبيائك ورسلك رحمة اللّه للعالمين سيدنا محمد ﷺ، فاللّهُم إنا نسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك محمد ﷺ ونستعيذ بما استعاذك به عبدك ونبيك محمد ﷺ.

إلٰهي بجاهه عندك، ومكانته لديك، ومحبتك له، ومحبته لك، والسر الذي بينه وبينك، أسألك أن تصلي وتسلم عليه وعلى آله، وأن ترزقنا حبه وحب من يحبه، وأن ترزقنا اتباعه والاقتداء بآدابه وسنته، وأن تسكب علينا ما سكبته عليه من نور وضياء وخشية وحب، حتى نصبح ربانيين، لا نصلح إلا لحضرتك.

يا رب . . يا رب . . نسألك بما سألك به نبيك محمد ﷺ أن تقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ونسألك أن تقسم لنا من رحمتك ما يقربنا من

obeikandl.com

طاعتك ونسألك يا رب أن ترزقنا من اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا وأحداثها، ونسألك يا رب ألّا تجعل همنا في دنيانا ولا تجعل دنيانا مبلغ علمنا وألّا تجعل مصيبتنا في ديننا.

اللّهُم إنا نسألك أن تجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا.

اللّهُم أعطنا من الخير ما تعلم أنه الخير ورضنا به، وما علمته غير ذلك فتكرم علينا بألّا تجيبنا إليه، وادخره لنا، فإننا نسألك يا رب على قدر ما نعلم، وما أقل ما نعلم وأكثر ما نجهل.

اللّهُم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع.

اللّهُم إنا نسألك في هذا الموقف عزائم رحمتك..

اللّهُم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا واجعلها الوارث منا، اللّهُم اجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على أعدائنا.

اللّهُم إن قلوبنا وجوارحنا لم نملك شيئاً منها فهي لك وحدك فحيث جعلتها لك وحدك فكن أنت يا رب وليها، ولا تحرك قلوبنا إلا بحبك ولا تعمل جوارحنا إلا في طاعتك بحيث يكون كل أمر منك ممتثلاً ويكون كل نهي منك مجتنباً.

يا رب.. يا رب.. يا رب.. نسألك بأنك الملك وأنك على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون.

لبيك اللّهُم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.

إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك.

يا رب.. يا رب.. يا رب.. وما أحسنها من راحة حين نعلم أن لنا ربّاً نفزع إليه.. مجرد النطق يرضينا يا رب فكيف بالعطاء بعدها.

يا شؤم من ليس له رب يستنجد به، ويا بؤس من ليس له إله يلجأ إليه، كيف يعيش دنياه، وكيف يستقبل مصاعب حياته؟

اللّهُم إنا نحمدك لأنك هديتنا إلى الإيمان، ونحمدك لأنك هديتنا إلى الإسلام.

اللّهُم اغفر لآبائنا وأمهاتنا الذين حملوا لنا دينك ولم يكلفونا الضياع في متاهات العقائد.

اللّهُم ارحمهم وارحم آباءهم وأمهاتهم إلى أولهم في الإسلام. اللّهُم كما

obeikandl.com

دعوناك لمن مضى منهم الرحمة نسألك لمن بقي منهم العفو والعافية والعفة ونسألك الاستقامة على منهجك.

اللَّهُم اهدِ حكام المسلمين لمنهجك . . اللَّهُم إنا نسألك أن تجمعهم على دينك؛ وأن توحد صفوفهم تحت راية قرآنك ومنهج نبيك.

اللَّهُم إنا نسألك يا رب أن تجعلهم رواد كلمة: لا إلٰه إلا اللَّه محمد رسول اللَّه فهي دستور الحكم في بلاد الإسلام القرآن.

اللَّهُم ألهمهم هذا المنطق.

اللَّهُم وفقهم إن هم فعلوا.

اللَّهُم اهدهم إليه.

اللَّهُم إنا نسألك لهم عدلاً وتوفيقاً وسداداً.

يا رب . . يا رب . . يا رب . . نسألك بأنك الملك، وأنك على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون.

لبيك اللَّهُم لبيك . . لبيك لا شريك لك لبيك.

إن الحمد والنعمة لك والملك . . لا شريك لك لبيك.

يا رب . . يا رب . . يا رب . . نسألك لهم المغفرة جميعاً مغفرة ورحمة ورضواناً.

اللَّهُم من وصلته في هذه الساعة فلا تحرمه الوصل إلى أن يموت.

اللَّهُم من حالت أسبابه وعوائقه أن يقف هذا الموقف فيسر له وسهل له أمره وذلل أمامه العقبات، لينعم كل عبيدك بهذه الفرحة، ولينعم كل عبيدك بهذا الجمال، ولينعم كل عبيدك بهذا الجلال.

لبيك اللَّهُم لبيك . . لبيك لا شريك لك لبيك.

إن الحمد والنعمة لك والملك . . لا شريك لك لبيك.

يا رب . . يا رب . . يا رب . . نسألك بأنك الملك، وأنك على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون.

وصلِّ اللَّهُم على سيدنا ومولانا محمد رحمة اللَّه للعالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين وسلام على إخوانه المرسلين والحمد للَّه رب العالمين.

obeikandl.com

المشعر الحرام

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] فكأن ذكر اللّه تعالى هنا هو الشكر على ما استقبل به وفده بالمغفرة والرحمة والرضوان.

ثم يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠] وكأنه يلفتُ إلى وحدة الهدف في الحج، فقد كانوا يجتمعون ليتفاخروا بآبائهم وبأمجاد أجدادهم فلكل واحد انتماء خاص إلى سبب وجوده المباشر، وسبب الوجود المباشر هو الأب، فكانوا يذكرون آباءهم بما قدَّموا مِنْ مجد خاص لنفوسهم أو مجد عام لما يحيط بهم على حسب اتساعات المقامات في ذلك المجد، وذلك يعدد الانتماء، وتعدد الانتماء يشعر بتعدد الأهواء، وتعدد الأهواء يشعر بالتضارب والتعامد.

فكرة الخلافة، تعني أن الإنسان ليس أصيلاً في الكون، وأنه كما استمد وجوده من الحق سبحانه فإنه يستمد بقاء هذا الوجود من الحق سبحانه وتعالى.

فالحق سبحانه وتعالى له نعمة الإيجاد من عَدم وله نعمة الإمداد من عُدم، فإذا كنتم تذكرون آباءكم: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾، ولكن على التحقيق يجب أن يكون من غير سبب، فإن كنتم قد ذكرتم آباءكم لأن إيجادكم هم سببه، فيجب أن تُصعدوا الأمر إلى من خلق آباءكم ومن خلق آباء آبائكم؛ صعدوها إلى أن تنتهي إلى أن اللّه تعالى هو الخالق الأعظم، فكلما امتدَّ بك الزمن في هذه السلسلة تلتقي، بينما أهواء البشر كلّما تعددت تناءت وابتعدت، وإنما إذا قربت من الحق الأول تلاقت.

والتقريب النظريُّ الهندسي لذلك أنك إذا رسمت دائرة مهما اتسعت هذا الرسم يحدد سعتها على قدر أنصاف أقطارها، فكلما كان نصف القطر أقل كانت الدائرة محيطها أقل، وكلّما اتسعت كبر محيطها. فإذا ما اخْتُطَّتْ خطوطاً من المركز إلى المحيط، تكون كلّما ابتعدت عن المركز تناءت الخطوط عن بعضها، وإلا لما حدث الاتساع، وما دامت الدائرة الثانية أوسع من الدائرة الأولى، والدائرة الثالثة

أوسع من الدائرة الثانية، وكلّما اتسعت الدائرة كلّما ابتعدت أنصاف الأقطار، فإذا ما أردنا أنْ نَتْبع التكاثر، كلّما نتكاثر وتتوزَّع أهواؤنا، لكن كلّما نذهب إلى الأصل تلتقي أهواؤنا إلى أن تأتي نقطة في المركز تمتزج فيها أنصاف الأقطار امتزاجاً واحداً فلا تستطيع أن تميز هذا إن أردت إلا لنقطة محدودة التي يمكن أن تلتقي فيها الأقطار لكن هذه النقطة نفسها دائرة ولها مركز، كلّما قربت كلّما تلاشت، فكذلك نحن إذا ذهبنا إلى الانتماء الأول تلاقينا، وإذا ذهبنا إلى الانتماءات الأخرى تباعدنا، فأنتم كنتم تذكرون آباءكم على التباعد، فاذكروا اللّه، لأن هذا هو التلاقي الذي ستنعدم فيه كل الأهواء، وتنعدم فيه كل الانتماءات.

والحق سبحانه وتعالى يريد أن يقرب بين خلقه تقرباً يجعل حركاتهم تتساند ولا تتعاند، وإذا كان هذا الأمر كذلك فيجب أن تذكروا اللّه أشد من ذكركم آباءكم.

وآباؤكم قَدَّموا وانتهوا، واللّه قَدَّمَ ولا يزال يُقدِّمُ، واللّه تعالى هو الباقي، أما الآباء والأجداد فإلى الفناء.

إذن.. فكان من الحكمة والعقل حتى ولو لم يكن تشريع أن يكون ذكر اللّه أشد من ذكر الآباء.

obeikandl.com